الفصل الثالث

المناخ الثقافي
والاجتماعي في الكلية

الفصل الثالث

المناخ الثقافي
والاجتماعي في الكلية

قرار دخول الكلية:

في البداية، واجهت الكلية الوليدة مشكلة عويصة تتمثل في عدم وجود "إعلام" كافٍ عن نوعية الدراسة والتخصصات ومستقبل الخريجين. ومع ذلك سرعان ما تمت تغطية هذه الفجوة بسبب الإعلام العام المصاحب لصدور خطة التنمية الخمسية الأولى والقضايا السياسية المصاحبة لعملية التحول الاشتراكي، وكذلك بسبب الدور الدبلوماسي النشط، الذي كانت مصر تتصدره في مجموعة عدم الانحياز، وقضايا التحرر العربي، ومناوأة الاستعمار، وبالطبع القضية الفلسطينية.

كذلك ساعدت محدودية عدد الطلبة المقبولين بالكلية واختيار ابنة الزعيم جمال عبد الناصر (هدى) للدراسة بها عام ١٩٦٢ فى تأكيد مكانة الكلية كإحدى كليات القمة.

وفى نتائج الاستبيان الذى أجري بمناسبة هذا الكتاب، كرر الكثير من الخريجين حيرتهم بعد حصولهم على مجموع كبير، وبالذات في القسم العلمي، حول مفاضلتهم بين كلية الاقتصاد وكلية الهندسة أو الطب. وفي كثير من الأحوال ساعدت آراء "قريب" أو "والد" أو "صديق" مستنير في ترجيح كفة الكلية.

واستمرت الحيرة بالبعض إلى السنة الثانية؛ حيث كان لابد من اختيار قسم التخصص (الاقتصاد، العلوم السياسية، أو الإحصاء). وعمومًا اتجه ذوو الميول الرياضية إلى القسم الأخير. وذوو الميول الأدبية إلى العلوم السياسية.

وكما سنرى فيما بعد، ساعد الأساتذة الرواد في قرار الطلبة اختيار قسم التخصص. وبالطبع ساهمت دراسة السنة الأولى في هذا الترجيح أيضًا.

وتضمن هذا الأمر الكثير من المفارقات، فالكثير من المعجبين بمقدمة علم السياسة التي درسها في السنة الأولى الدكتور حامد ربيع، وكذلك من أبلوا بلاءً حسنًا في القانون المدني والدستوري انتهى بهم الوضع بدراسة علم الاقتصاد. وبالعكس بالنسبة لمن تفوق في مقدمة علم الاقتصاد. ولعل هذه المشكلة تنبه المسئولين الى أهمية وضع نظام لإرشاد طلبة الثانوية العامة الى الكليات التى تتفق مع ميولهم، وقدراتهم.

الكلية كخبرة حياتية:

بسرعة، أكدت الكلية مكانها كإحدى كليات القمة، ودخلها عدد محترم من أوائل الثانوية العام من الأقسام الأدبي والعلمي. وأدى هذا إلى خلق مناخ من الرغبة في التميز والتفوق. وانعكس هذا التفوق المبكر في نقاشات الفصول الدراسية وقاعات البحث. وكذلك في النشاط الثقافي والعلمي[1].

وهناك من يشير إلى أن تفوقهم الدراسي كان على حساب حياتهم الاجتماعية في الجامعة. وأحيانًا أدى هذا للتفوق إلى غيرة الآخرين وعدم تقبلهم، بينما في حالات أخرى كان مفتاح النجاح الاجتماعي.

وكانت فترة الخمسينيات والستينيات مليئة بالحياة الثقافية والذهنية النشطة مع إرهاصات الوحدة العربية ومعارك مقاومة الاستعمار، ويتذكر الجميع كيف مثلت لهم الحياة في الكلية تجربة اجتماعية كاملة. وكانت هناك عناصر عديدة لهذه التجربة. فمن ناحية كان هناك تلاقي "لثقافات" مختلفة فأبناء العاصمة يختلفون عن أبناء الأقاليم، وكذلك فإن أبناء الطبقات العليا، التي تلقى بعضها ضربات التأميم والمصادرة في ظل

(١) من أوائل الثانوية العامة الذين تفوقوا في الكلية في السنوات الأولى: جودة عبد الخالق، ومصطفى كامل السيد، ومصطفى الفقي، وعفاف المغربل، وأحمد يوسف أحمد، وغيرهم.

حكومة اشتراكية، كانت تختلف توجهاتهم عن غيرهم من أبناء الطبقات الدنيا وأبناء الفلاحين.

طبعًا كانت هذه الفروق تظهر في نوع المظهر العام، وطريقة التصرف والقدرة المادية. ومع قلة الطلبة كانت مكانة كل واحد واضحة. ومع ذلك اتصف ذلك العصر بالاحتشام. كذلك فرضت السياسة الاشتراكية والدعوة إلى المساواة عدم التظاهر بالغنى. فقليل من الطلبة من كان يحضر إلى الجامعة بسيارة العائلة. و كانت المواصلات العامة بديلاً مناسبًا للتنقل. ويذكر سكان مصر الجديدة عربات المترو الفخمة التي وصلت للتو من اليابان بأرائكها المريحة المغطاة بالجلد الأخضر (ومازالت بعض هذه العربات تعمل إلى اليوم بعد خمسين عاما)، وكذلك خطي أتوبيس ١٠١، ١٠٢ (مصر الجديدة- الجيزة)، وهو ما سهل لهم الوصول إلى الجامعة دون مشكلات. وأدى إلغاء هذه الخطوط الطوالي عام ١٩٦٢ إلى مشكلة حقيقية وإرهاق زائد[١]، حيث كان على سكان مصر الجديدة تغيير المواصلة في ميدان رمسيس أو ميدان التحرير. أما بالنسبة لسكان الأقاليم، فكانت القطارات منتظمة والاشتراك السنوي (الأبونيه) معتدل التكلفة، وأتاحت سهولة المواصلات التعليم للآلاف منهم، الذين واظبوا على التنقل يوميًا بدلاً من العيش في القاهرة.

برغم من أن أوائل الثانوية العامة (المصرية) كانوا دائمًا في مقدمة الفصول، إلا أن خريجات المدارس الأجنبية كان لهن وجود مميز في المدرجات. ويذكر الجميع أسماء محددة كن يجلسن في الصفوف الأولى، وبعضهم يجذبن انتباه الأساتذة، قبل الطلبة، بملابسهن الفاتنة. وربما علق أستاذ أو أكثر عن أهمية تفادي البهرجة في المكياج.

---

(١) ولقد تنبه الرسام الساخر صلاح جاهين إلى عشوائية هذا القرار، فرسم رئيس شركة النقل العام وهو يركب حمارًا ويدعو الناس إلى اقتداء مثله. أما سكان الأقاليم فكانت القطارات منتظمة والأبونيه معتدل التكلفة، وأتاح هذا البديل التعليم للعشرات الذين واصلوا على التنقل يوميًا بدلاً من العيش في القاهرة.

وبينما برع بعض الطلبة في التودد إلى زميلاتهم الجدد، اكتفى البعض الآخر "الأقفال" بالنظر عن بعد. وسمحت الرياضة بإيجاد فرصة إضافية للتعارف. وافتخرت الكلية بوجود فريق كرة قدم قوي وقف ندا لفرق كلية التجارة والهندسة والزراعة ذات الأعداد الأكبر كثيرًا، والتي لعب فيها بعض لاعبي الأهلي والزمالك والإسماعيلي مثل "أبو جريشه"... ويذكر الزميل عادل جاب الله (خبير الإحصاء الذي هاجر إلى استراليا عام ١٩٦٧) كيف أنقذ "جون" الكلية من هجمات شرسة للفرق الأخرى.

كذلك كونت الكلية أول فريق كرة قدم نسائي على مستوى الجامعة، ساهمت فيه المحامية الشهيرة منى ذو الفقار. وشاركت هدى عبد الناصر فى فريق "الباسكت" - كرة السلة - (انظر ملف الصور فى نهاية الكتاب)، بينما برع البعض في لعب التنس، ومنهم البطل إسماعيل الشافعي.

العلاقة بالأساتذة الرواد:

يذكر الخريجون كيف كانت العلاقة قريبة مع السيد العميد والأساتذة الرواد. وهناك مواقف متكررة كثيرًا في ذكريات أبناء الدفعات الأولى، وهو إحساسهم أن طاقم التدريس جزء من الأهل والعشرة، والأهم أنهم مهتمون بمصالحهم ومستقبلهم.

وإليكم بعض أمثلة لذلك:

فالسفير عادل المليجي (ص ٦٥) يذكر كيف لجأ إلى عميد الكلية لأنه بعد نجاحه في السنة الأولى، لم يكن قد قرر بعد عما إذا كان يرغب في دخول قسم علوم سياسية أو قسم الإحصاء. والشيء نفسه بالنسبة للسفير زكري عبد الشهيد (ص ٦٤).

وفى السنة الأولى، انبهر الجميع بأسلوب د. سعيد النجار الطلي الذي وإن اتصف بالإسهاب والتكرار أحيانًا، فقد أفاض في المعاني والإيماءات. ويذكر طلبة قسم الاقتصاد في السنة الثانية كيف توطدت علاقتهم بالسيد عميد الكلية خلال "قاعة البحث". و كان السيد العميد يتصف بأسلوب أنيق، ليس فيه إسراف أو تكرار. وكان مهتمًا أن يرشد

الطلاب إلى أساليب البحث الرشيدة، وكان يدعو الجميع إلى الاختصار في العرض؛ فما يمكن شرحه عن طريق رسم بياني، لا داعي فيه لإضافة جدول بيانات، وما يمكن تلخيصه في أرقام أو متوسطات، لا داعي فيه للإسراف في وصفه، ويقول إن الاقتصادي الجيد هو مثل الصائغ الحاذق الذي يضع كل كلمة فى موقعها، فلا يضيف كلمة أزيد من اللازم أو أقل من اللازم.

ولم يكن اهتمام العميد أو زملائه من الأساتذة يقف عند الرأي الأكاديمي المجرد. ولكن، بوصفهم آباء مهتمين، كانوا لا يتوانون عن بعض التوجيه والإرشاد فى حياتهم الخاصة، بل وأحيانًا التوبيخ والتأنيب؛ فالدكتور "زكي" وصف البيانات القديمة التي استخدمتها إحدى الزميلات في بحث عن التجارة الخارجية بإنها تصلح فقط لقراطيس اللب والسوداني. والدكتور مدني دسوقي، رائد الإحصاء الأشهر، كان يقوِّم الطلبة المتهاونين بأقوى الشتائم[1].

أما الدكتور عبد الملك عودة، أطال الله في عمره، فقد ذكره معظم المشاركين في الاستبيان وفي أحاديثهم الخاصة كأب رؤوم، مهتم بالطلبة وحياتهم. ويذكرون دوره الرائد في "أسرة" النيل (انظر شهادات الخريجين فى الفصل السادس)، و كيف اهتم بتوظيفهم بعد التخرج، وتقديمهم للجهات المختلفة التي يمكن أن تستفيد بقدراتهم. ويذكر الأستاذ عصام رفعت (رئيس تحرير الأهرام الاقتصادي فيما بعد) كيف قدمه د. عبد الملك للدكتور بطرس بطرس غالي الذي كان رئيسًا لتحرير الأهرام الاقتصادي في ذلك الوقت...

ويذكر محمد حبيب (ح٦٥) أستاذه الدكتور "عبد الرحمن البدري"، الذى كان العمود الثاني لقسم الإحصاء عند بدايته، كنموذج للعقل المرتب وكصاحب منهج واضح. ويذكر أيضًا بامتنان كيف كان من عادة الدكتور البدري أن يعزم كافة أبناء

(١) يذكر الزميل ماهر سلامة أنه كان نشيطًا في المجال الاجتماعي وحفلات الوافدين، وأن الدكتور مدني جرى وراءه مهددًا قائلاً "أنت ماوراكش مذاكرة يا كلب!"

الدفعة إلى منزله على العشاء، متحديا بذلك ما يتصف به "الدمايطة" من الحرص المادي!

ويذكر علي سليمان كيف اهتم الدكتور "جلال أمين"[1] ببحث عن التجارة بين الدول الأفريقية، قدمه له في "قاعة بحث" عن الاقتصاد الأفريقي في السنة النهائية (ق ٦٥). ورتب له الدكتور جلال لقاءً مع الدكتور زكريا نصر، المسئول عن تحرير مجلة "مصر المعاصرة" التي تصدرها جمعية الاقتصاد والتشريع، في مقهى "جروبي" سليمان باشا (طلعت حرب) لكي ينشر هذا البحث في المجلة[2].

ويذكر السفير عبد العزيز فراج (س ٦٥) كيف أخذه الدكتور "حامد ربيع" بيده ومشيا معًا إلى مركز البحوث الاجتماعية والجنائية بالدقي ليدبر له وظيفة هناك. وبالمقابل استعان "عزيز" بالدكتور حامد في دورات تدريبية في الإذاعة والتليفزيون عندما عمل هو هناك فيما بعد. كذلك يذكر د. جودة عبد الخالق كيف نصحه السيد العميد - وقد اكتشف قدراته المبكرة - بالتخلي عن لعب الملاكمة؛ حيث إن هذه الرياضة قد تؤثر على قدراته الذهنية.

ولقد امتد اهتمام السيد العميد برعيل خريجي الكلية الأوائل فكان دائم المتابعة لأحوالهم وبالذات المعيدين الجدد ومنهم نادر الفرجاني وسمير رضوان، وأسف لأنه لم يستطيع تعيين الطالب الأردني (الفلسطيني الأصل) تيسير عبد الجبار، الأول على دفعة ١٩٦٣ اقتصاد، (والذي وصل إلى وظيفة وزير العمل والشئون الاجتماعية في الأردن فيما بعد) كمعيد في الكلية.

واستمر هذا الاهتمام إلى لسنوات طويلة بعد التخرج. حيث تابع الدكتور زكي شافعي أداء "أولاده" أثناء دراستهم في الخارج. وفي مصر تبنى تشجيعهم العلمي في

(١) كان الدكتور جلال منتدبًا للتدريس في الكلية من جامعة عين شمس، ابتداء من ١٩٦٥ ولعدة سنوات، ومع ذلك ترك أثرًا ممتدًا على كثير من الخريجين.

(٢) كان الموعد في "عز" شهر رمضان، يناير ١٩٦٥، وطلب الكاتب قهوه سادة لم يشربها.

ندوات جمعية الاقتصاد والتشريع. ويذكر أ. محمد عوني كيف ساعده الدكتور العميد أثناء توليد منصب "رئيس بنك الأهرام" بتوفير تمويل لعمليات الاستيراد، التي كان قد بدأ يطرقها.

نظام الأسر:

رغبة في جمع الشباب وتوجيههم وامتصاص طاقتهم الخلاقة في نشاط مفيد، تم إنشاء نظام الأسر التي يرعاها رائد من الأساتذة. وبالتالي تم إنشاء ثلاث أسر، هي: أسرة "النهضة" بريادة الدكتور الخطيب، وأسرة "النيل"، أكثرها شعبية ونشاطًا، بريادة الدكتور عبد الملك عودة، وأسرة "الشباب"، ذات التوجه الارستقراطي، بريادة الدكتور خيري عيسى.

وأصدرت كل من هذه الأسر مجلة للحائط للدعوى لعضويتها والإعلام عن نشاطها.

صحافة الحائط:

إلى جانب الإصدارات غير المنتظمة للأسر، أقدم الأستاذ مصطفى كمال أحمد (أحد أوائل الثانوية العامة) مع الأستاذ محمد أبو الحديد (رئيس تحرير جريدة الجمهورية فيما بعد) على إصدار "مجلة النصر" التي كانت من أكثر المجلات حرفية وانتظامًا أسبوعيًّا في صدورها. وتبنت المجلة قضايا مهمة مثل تشغيل المرأة والتحول الاشتراكي .. ولم تسلم صحافة الحائط في ذلك العصر من المصادرة بسبب تدخل "الأمن" أو الرقابة المفروضة على النشاط الطلابي.

الرحلات:

كما أشرنا فى السابق، نظمت "الأسر" الاجتماعية رحلات منتظمة إلى معالم مصر المختلفة، مثل: القناطر الخيرية والعين السخنة والآثار الإسلامية والإسكندرية... ويذكر البعض هذه الرحلات، بعد كل هذا العمر، على أنها من أحلى ذكريات حياتهم. ويذكر

الأخ ماهر سلامة أن الكلية كونت فريقًا كاملاً للجوالة، وتولى الدكتور على عبد القادر العائد حديثًا من الولايات المتحدة الإشراف عليه.

ويذكر رشاد كامل (ق٦٦) رئيس اللجنة الرياضية فى اتحاد الطلبة أنهم نظموا ٢٣ رحلة رياضية عام ١٩٦٥، بما فى ذلك رحلة إلى لبنان صاحبهم فيها الدكتور خيري عيسي. وتم استقبال وفد الكلية استقبالاً حافلاً بواسطة القوى السياسية فى لبنان بما فى ذلك السيد رشيد كرامي، رئيس الوزراء.

ويذكر كاتب هذه السطور رحلة الى القناطر الخيرية، ساعد فى تنظيمها بعد بداية عمله كمعيد فى الكلية، وإن كادت أن تفشل قبل أن تبدأ؛ حيث إن السفر كان بالقطار، ولما فشل فى التفاوض مع بيروقراطية السكك الحديدية لأيام سابقة فى الحصول على عربة خاصة للرحلة، انتهي بهم الأمر بالتسابق الى القطار المزدحم. ولم ينجح أحد فى الركوب! وأنقذ الوضع الدكتور جلال أمين، الذى كان وافق على الانضمام الى الرحلة مع زوجته الإنجليزية، و"دعَّم" (من جيبه الخاص) قرار استخدام تاكسيات الأرياف لتوصيل أعضاء الرحلة الى مزرعة تجريبية لإنتاج الألبان بالقرب من القناطر كان لمنظم الرحلة قريب يعمل بها. وهناك استمتع الجميع بالفطير المشلتت والقشطة والعسل، وبعد ألعاب جماعية ومسابقات، وتعارف طيب، انضم الركب إلى رحلة أخرى عادت بأحد الصنادل السياحية إلى مرفأ روض الفرج.

وهكذا أصبحت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالنسبة للكثيرين جزءًا من تجاربهم الحياتية المهمة، وامتدت العلاقة بعد ذلك إما عن طريق العمل والتواصل مع أساتذتها، أو متابعة الدراسة العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه بها، أو عن طريق حضور ماتنظمه من ندوات ومؤتمرات علمية، وأحيانًا لاختيار شريك الحياة من طلبتها. وهناك عدد كبير جدًّا من الزيجات المشتركة حتى على مستوى هيئة التدريس.

ويتابع الكثير العلاقة بالكلية من خلال جمعية الخريجين التي أنشئت عام ١٩٦٨، ولقد ترأس الجمعية فى سنواتها العشرين الأولى الزميل مصطفى كمال أحمد. ومع ذلك، وعلى الرغم من البداية القوية، فقد تعثرت الجمعية لفشلها فى الحصول على الاعتراف بها

ككيان نقابي، وأيضًا لعدم تجدد الدماء فى أعضاء المجلس. وابتداء من أوائل التسعينيات، تولى الزميل طه خليل قيادة الجمعية، الذى نجح فى استجلاب الدعم الرسمي لها كهيكل اجتماعي وثقافي، وحصلت الجمعية على دعم من الاعضاء لشراء مقر دائم فى مدينة نصر، وتنظيم لقاءات ورحلات تحظى بإقبال كبير وبالذات من الدفعات الأولى.

النشاط الفني والثقافي:

على الرغم من قلة عدد الطلبة فى الكلية، إلا أنها كان لها وجود قوي في مسابقات جامعة القاهرة الفنية والثقافية. ونظمت اللجنة الفنية مجموعة من المسرحيات، شارك فى إخراجها بعض المخرجين الضيوف الكبار مثل السيد راضى و الضيف أحمد وشنوده جرجس.

الجدل السياسي:

شهدت السنوات الأولى من حياة كلية الاقتصاد تنوعًا سياسيًّا قويا. فإلى جانب دعاة الاشتراكية كان هناك بعض المدافعين عن نظام الاقتصاد الليبرالي، ومنهم الدكتور أحمد أبو إسماعيل (وزير المالية، وعضو مجلس الشعب عن حزب الوفد فيما بعد) والدكتور سعيد النجار (مؤسس جمعية النداء الجديد الليبرالية، التى اندثرت بوفاته المفاجئة فى ٢٠٠٤)، والدكتور فؤاد هاشم (رئيس بنك الاستثمار العربي في السبعينيات والثمانينيات). وشهد الموسم الثقافي في الكلية إرهاصات لكل هذه الاتجاهات. ويذكر الجميع ندوة نظمها المرحوم مصطفى كمال أحمد، محرر "جريدة النصر"، ودعا إليها الأخوان مصطفى وعلى أمين، مؤسسا دار أخبار اليوم. ولقد انتهز الدكتور زكي شافعي هذه الزيارة؛ ليؤكد فائدة علم الاقتصاد فى الحياة العملية. ذلك أن مصطفى أمين أبدى انزعاجًا شديدًا بسبب قرار الدولة زيادة سعر الجرائد اليومية من قرش واحد إلى ١٥ مليما، أي بنسبة ٥٠٪. وتوقع الصحفي الكبير أن يحدث إنخفاض كبير فى الطلب على الصحف. وأراد الدكتور زكي شافعي أن يشرح له أن مخاوفه تكون حقيقية، فقط إذا انصبت الزيادة على جريدة واحدة، أما إذا شمل ارتفاع الأسعار كل الجرائد اليومية فسوف نكون فى وضع احتكار القلة ولن يتأثر الطلب على أي جريدة واحدة كثيرًا.

ويذكر آخرون احتفالية بعيد ميلاد "لينين" نظمتها الوحدة القاعدية للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٤ وحضرها وكيل الكلية د. أحمد أبو إسماعيل والعميد القادم الدكتور/ فتح الله الخطيب[١]. ويذكر المؤلف، بعد كل هذه السنين، دخولهما متأخرين وهما فى عجلة من أمرهما.

تواصل الأجيال:

بدأت الكلية بداية قوية مع تحويل هيئة التدريس من كليات الحقوق والتجارة بجامعة القاهرة.. كذلك انتظم في الفصل الدراسي الثاني الناجحون بتقدير جيد من طلبة هاتين الكليتين، كما تم تحويل بعثات عدد كبير من المبعوثين إلى الجامعات الأجنبية في تخصصات الكلية الثلاث إلى تبعية كلية الاقتصاد.

وبدأت وفود المبعوثين تعود إلى الكلية تباعًا، كما هو واضح من الجدول (٧).

جدول رقم ٧

قائمة بأسماء المدرسين العائدين للكلية من الخارج خلال الستينيات(*)

قسم الاقتصاد:

رياض عبد لحفيظ الشيخ	أحمد عبد الوهاب الغندور
مصطفى كامل السعيد	محيي الدين الغريب
عبد الفتاح قنديل	سلوى سليمان
عمرو محي الدين	هناء خير الدين
أحمد رشاد عبدالعال	عبد الحميد الغزالي
باهر عتلم.	

(١) فسر لنا الدكتور عبد الملك عوده، فى مقابلة تمت فى منزله، سبق الاشارة اليها. مثل هذه المناسبة يكونها كانت مجاملة للاتحاد السوفيتي، ومن المؤكد انها نظمت بناء على تعليمات من جهات سيادية. وقال متهكما أن السوفيت "كانوا يأكلون مثل هذه الحركات،"أي يقعون ضحايا لمثل هذه الحيل.

قسم الإحصاء:

نادية مكاري جرجس	أحمد محمد عمر
حسين أحمد فهيم	

قسم علوم سياسية

علي عبد القادر علي	سمعان بطرس فرج الله
أحمد رشيد حسين رشيد	إبراهيم مصطفي درويش
محمود إسماعيل محمد	

(*) المصدر: إتحاد طلبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، دليل الطلاب للسنوات ١٩٦٥-١٩٧٠.

وضمنت هذه الكوكبة الباهرة من المبعوثين العائدين تواصل العملية التعليمية في الكلية على خير وجه. ويلاحظ مع ذلك أن هذه الوفرة من الأساتذة سرعان ما تحولت إلى "شح"، مع زيادة عدد الإعارات الخارجية وبالذات مع الفورة النفطية التي تلت حرب أكتوبر المجيدة (١٩٧٣).

وبداية من عام ١٩٦٥ بدأت البعثات الخارجية لمعيدي الكلية. وكان من أول من سافر د. نادر الفرجاني (أمريكا) وسمير رضوان (بريطانيا) وعليّ الدين هلال (كندا)، وعفت موسى (أمريكا)، وفاروق الشيخ (بريطانيا). (انظر جدول رقم ٨ ص ٦١).

ومن المثير للانتباه أن كثيرًا من هؤلاء المبعوثين الأوائل من خريجي الكلية قد فضلوا البقاء في الخارج أو عادوا إلى الوطن بعد سنوات للعمل في أماكن أخرى. وبالطبع تتعدد الأسباب وراء قرار البقاء فى الخارج. فقد يكون بعضها شخصيًّا وأنانيًّا مثل الانبهار بالغرب وبفرص الحياة الراغدة، وعدم الاستعداد عن التنازل عن مستوى المعيشة أو الحرية الشخصية التى توفرها الجامعات الأمريكية، حتى لرد دين الوطن الذى أنفق على تعليمهم[1]. وقد تكون هناك أسباب عامة وأكثر إلحاحًا لتفسير ظاهرة النكوص عن

(١) تذكر الدكتورة ناديه مكاري التى عادت الى البلاد فى أواخر ١٩٦٦، و ساهمت في ريادة النشاط الثقافي والطلابي فى الكلية، ورأست قسم الإحصاء لسنوات طويلة، أن كثيرًا من زملائها فى =

العودة، ومنها: الخوف من انعدام الحريات السياسية، أو الإنكسار الوطني الذي تبع هزيمة يونيه ١٩٦٧، وبالتالي نهاية موجة المد الثوري والاجتماعي مع توقف عملية التخطيط الاقتصادي وتراجع دور مصر فى المنطقة العربية.

صدمة النكسة وتجربة التجنيد:

سببت صدمة النكسة والرغبة في النهوض بالقوات المسلحة إعادة النظر في سياسة التجنيد. فبدلاً من سياسة القرعة والاكتفاء بأعداد صغيرة من خريجي الجامعات، قررت قيادة القوات المسلحة - تحت قيادة المغفور له محمد فوزي - زيادة عدد المقبولين من خريجي الجامعات، ويقال إن العدد الذي دخل منهم الجيش عام ١٩٦٨ وصل إلى ٥٠ ألف خريج.

وهكذا كانت إحدى التجارب المشتركة المهمة في هذه الفترة دخول معظم الخريجين إلى الخدمة العسكرية ولمدد طويلة. وانضم الى صفوف المجندين بعض الأساتذة الشباب العائدين من الخارج مثل الدكتور محمود اسماعيل.

ولقد اعتمد الجيش على هذه العناصر الجديدة في تطوير قدراته، وكان ذلك وراء نصر أكتوبر المجيد في ١٩٧٣. وفي حياتهم الخاصة أثرت تجربة التجنيد تأثيرًا عميقًا على الخريجين. ولكثير منهم ذكريات حية عن تلك الفترة.

ويتذكر السفير مخلص قطب (١٩٦٦س) الأمين العام لمجلس حقوق الإنسان كيف اختلفت حياته اختلافًا كبيرًا بدخول الجيش. وبعد "العز" الذي وفرته له وظيفته الدبلوماسية التي أتاحت له السكن في المعادي، والزواج السريع، كان عليه أن يدبر أحواله بالجنيهات القليلة التي يمثلها مرتب المجند.

مع ذلك فقد تحسنت الأمور بعد السنة الأولى من التجنيد؛ حيث بدأ يتسلم مرتبه (المدني)، ويحصل على كافة العلاوات والبدلات التي يحصل عليها زملاؤه في الحياة المدنية.

= كاليفورنيا كانوا يتحججون بأهون الأسباب للبقاء هناك، مثل عدم توافر الصابون الفاخر أو ورق التواليت فى مصر! مقابلة تمت في ٢٤/ ٢/ ٢٠١٠.

ومن المفيد أن نعلم أن الجيش حاول قدر الإمكان الاستفادة من هذه العناصر المتعلمة في مجالاته المختلفة. فهناك من عمل في الترجمة مع الخبراء السوفيت، وهناك من عمل في هيئات التوجيه المعنوي، وهناك من اشترك في سكرتارية القيادة وغيرها من الأعمال المتخصصة.

وبالطبع لم يكن مثل هذا التوفيق ممكنًا للجميع، حيث انضم بعض خريجي الكلية إلى أسلحة، ليست لها علاقة بتخصصهم، فانضم الأستاذ نصار عبدالله (الشاعر الكبير، وأستاذ الفلسفة في جامعة بني سويف فيما بعد) إلى سلاح الحرب الكيماوية مع كاتب هذه السطور، وانضم آخرون إلى أسلحة المشاه أو الدفاع الجوي.

والشيء المهم في تجربة التجنيد هو ذلك الإحساس بالألفة والمساواة، الذي ضم جميع المجندين. فالجيش هو بوتقة الوطن. وفيه تعرف الكثير من الخريجين لأول مرة على أبناء أقاليم أخرى أو طبقات اجتماعية، لم يكن لتتاح الفرصة لمقابلتهم في مجال آخر. واشتركوا في الطابور والخيمة "والقروانة"، وساهمت هذه التجربة في زيادة قدرتهم على التعامل مع الآخرين في حياتهم العامة فيما بعد.

كذلك أدى دخول المتعلمين إلى زيادة الانضباط والأداء فى صفوف المجندين. وبالمقابل كان هناك تغير محسوس في طريقة معاملة الضباط للمجند، ويذكر كاتب هذه السطور كيف أن المجندين المتعلمين استمتعوا بمستوى عالٍ من التعامل الأخوي مع الضباط النظاميين.

ويذكر "مخلص قطب" كيف كان هناك إحساس أسري يضم الجميع، وكيف أن قائد الكتيبة في موقعه النائي في مواجهة العدو شرق قناة السويس كان يعرف الجميع بالاسم، ويهتم بشئونهم الخاصة واحتياجاتهم النفسية والأسرية، وهذه هي الروح التي حققت نصر أكتوبر.